المعنى من الدلالة الحسية

إلى الدلالة المعنوية العقلية المجردة

أ. بن الدين بخولة

جامعة وهران-الجزائر

الملخص:

شغل المعنى اللغوي كل المتكلمين باللغة، من: علماء، ومفكرين: فلاسفة ومناطقة، وفقهاء الشريعة والقانون الوضعي، وعلماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد، والنقاد والأدباء . ولكل منهجه وأسلوبه، وما توصل إليه في دراسة المعنى. ولذلك تعددت مصادر دراسة المعنى، متخذة من اللغة وعاءً لها، مما سبب اختلاف الباحثين في تصور اللغة، وتصور المعنى اللغوي. فالمعاني الأدبية- مثلاً- مصدرها الوجدان والانفعال والتأثر القائم على الشحنة العاطفية، فكثر فيها الخيال، مما سبب تنوع الأساليب الأدبية واختلافها . ودراسة المعنى إحدى مستويات الدرس اللغوي الحديث، يعرف بعلم الدلالة (السيمانتيك – Semantics)، وهو حديث النشأة في الغرب، بالنسبة للمستويات الأخرى، ويعده كثيرون غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية (التركيبية) والمعجمية. ويشمل: بحث الألفاظ مفردة (السيمانتيك المعجمي- Lexical Semantics)، وبحثها في التركيب (السيمانتيك التركيبي – Syntactic Semantics)، وهذا الثاني يلتقي بنظرية النظم- عند عبد القاهر الجرجاني- وما بلغته في الكشف عن المعاني، من خلال التركيب ومعاني النحو. وهناك اتجاه يضيف إلى ذلك دراسة اللغة في إطار اجتماعي (في الكلام الذي يجري به التخاطب).

Résumé :

la signification du mot a été l'une des préoccupations des utilisateurs de la langue :savants,penseurs,philosophes,théologiens,législateurs,sociologues,politologues,économistes,critiques,romanciers…avec Chacun une méthode et un style personnels. Ainsi Il y avait de nombreuses sources d'étude consacrées à la signification qui expliquent la cause de la différence dans la perception des chercheurs de langue, et la perception de la signification linguistique. Le sens

littéraire d'un mot est rattaché à la fois à la conscience et l'émotion fondées sur la vulnérabilité imaginative provoquant ainsi une variété de styles littéraires différents. Et l'analyse du sens intéresse beaucoup plus la sémantique considérée comme une branche récente de la linguistique et que beaucoup considèrent comme l'un des objectifs des études morphologiques, syntaxiques et lexicales. L'étude sémantique comprend aussi la sémantique lexicale et sa relation avec la sémantique syntaxique que l'on retrouve chez Abdelkahar El-djourjani. Il existerait aussi un autre tendance qui traite de l'aspect social du conversationnel.

شغل المعنى اللغوي كل المتكلمين باللغة، من: علماء، ومفكرين: فلاسفة ومناطقة، وفقهاء الشريعة والقانون الوضعي، وعلماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد، والنقاد والأدباء . ولكل منهجه وأسلوبه، وما توصل إليه في دراسة المعنى[1]. ولذلك تعددت مصادر دراسة المعنى، متخذة من اللغة وعاءً لها، مما سبب اختلاف الباحثين في تصور اللغة، وتصور المعنى اللغوي. فالمعاني الأدبية- مثلاً- مصدرها الوجدان والانفعال والتأثر القائم على الشحنة العاطفية، فكثر فيها الخيال، مما سبب تنوع الأساليب الأدبية واختلافها [2] . ودراسة المعنى إحدى مستويات الدرس اللغوي الحديث، يعرف بعلم الدلالة (السيمانتيك - Semantics)، وهو حديث النشأة في الغرب، بالنسبة للمستويات الأخرى، ويعده كثيرون غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية (التركيبية) والمعجمية. ويشمل: بحث الألفاظ مفردة (السيمانتيك المعجمي- Lexical Semantics)، وبحثها في التركيب (السيمانتيك التركيبي - Syntactic Semantics)، وهذا الثاني يلتقي بنظرية النظم- عند عبد القاهر الجرجاني[3]- وما بلغته في الكشف عن المعاني، من خلال التركيب ومعاني النحو. وهناك اتجاه يضيف إلى ذلك دراسة اللغة في إطار اجتماعي (في الكلام الذي يجري به التخاطب) . [4]

تغير المعنى هو من بعض الأسس التي تقوم عليها الدراسات التحليلية لمعاني الكلام، وبيان الاختلاف الحاصل فيها. وتعدد أنواع الدلالات بعد التثبت من الدلالة المركزية للمعنى لإمكان معرفة التغير ونوعه، ولتغير المعنى اثر كبير في عملية التفاهم الكلامية، وله انعكاسات في الدراسات اللغوية بشتى أنواعها.

ويُعدُّ تغير المعنى جانبا من جوانب التطور اللغوي الذي يحصل ضمن طبيعة اللغة. ومن هذا التغير تتضح الدلالة المركزية بثبوتها، والهامشية بخصوصيتها، والإضافية بتوسطها وكثرة تغيرها وهي أكثر ما تُعنى بهذا التغير وأكثر ما تنتج منه.

ومن الجوانب المهمة التي تتعلق بالتغير الدلالي الجانب التاريخي الذي بوساطته يحدث التغير بين المعنى الأصلي للمفردة والمعاني الجديدة، ويدعى هذا الجانب بـ(السيمانتك التاريخي) (Semasiology).

ونتيجة لسهولة اكتساب المفردات وفهم معانيها من خلال التحاور لذلك تعد من أكثر العناصر اللغوية قابلية للتغير في اللغات الإنسانية على العكس من العناصر الأخرى فالعنصر الصوتي يستقر منذ الطفولة، وكذلك النظام الصرفي فهو ثابت على الرغم من تأخر مدة ثبوته فلا تعتريه تغيرات مستمرة، أو كثيرة، والنظام النحوي كذلك وهذا الاستقرار يدين باستقرار ذهنية المتكلم.

وفي ذلك قال فندريس:(المفردات على العكس من النظام الصوتي عند الفرد، لا تستقر على حال لأنها تتبع الظروف، فكل متعلم يكوّن مفرداته من أول حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممن يحيطون به، فالإنسان يزيد من مفرداته، ولكنه ينُقصُ منها أيضاً ويغير الكلمات في حركة دائمة من الدخول والخروج).[5]

لم يبعد أهل اللغة كثيراً عن مفهوم(المعنى) في الاصطلاح ؛ إذ صرَّحوا بأنَّ « المعاني هي الصور الذهنيَّة من حيث وضع بإزائها الألفاظ »[6]، بل أدركوا ذلك مبكرًا حينما جعلوا من القصد، وما يفيده اللفظ، وغير ذلك مما يقترب من عرف العلماء، وبحسب اتجاهاتهم .

وهذا ما يدل على اتساق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي[7] ؛ إذ شهد الأول انتقال لفظة (المعنى) من الإنبات والإظهار إلى ما يفيده اللفظ، وهو انتقال من الدلالة الحسية إلى الدلالة المعنوية العقليَّة المجرَّدة، وهذا ما اتسم به – أيضًا – مفهوم لفظ (المعنى) اصطلاحاً

؛ إذ ارتكز على المعنى العقلي المجرَّد بارتباطه –حدا – بمفهوم الصورة الذهنية التي تمثل الأشياء في الخارج، فضلاً عن دلالته على القصد؛ إذ ورد في التعريفات للجرجاني (816هـ) أنَّ المعنى هو « ما يقصد بشيء »[8].

وقد حصر أحد الباحثين المحدثين دلالة (المعنى) في الكتابات القديمة باستعمالات متعددة هو على التقريب :

1. الغرض الذي يقصد إليه المتكلم .
2. الفكرة النثرية العامة المتخلفة في شرح القصيدة أو نثرها .
3. الأفكار الفلسفية والخلقية خاصَّة .
4. التصوّرات الغريبة والأشباه النادرة[9] .

أما في اصطلاح المحدثين فلم يكن من السهل أن يحدّ (المعنى) بشكل قطعي أو نهائي في الدرس اللغوي الحديث؛ ذلك أنَّ مجالات هذا الدرس تلوَّنت وتشعَّبت بشكل كبير، ما دعا إلى أن يحتضن كل من هذه المجالات لفظة (المعنى) بحسب توجهاتهم، حتى وصل تعريف(المعنى) إلى أكثر من عشرين تعريفًا[10] إذ « ينفتح التعامل مع المعنى اصطلاحاً على مشكلة مفهومية متداخلة ومعقَّدة يمكن وصفها بأنها شبه إشكاليَّة، ولعلَّ ما يفسّر البعد الإشكالي فيها أنَّ معظم النظريات التي تناولت(المعنى) اصطدمت بصعوبات كبيرة، ومن أهم هذه الصعوبات عدم الوصول إلى معنى ثابت ومحدد للكلمات أو الجمل فإذا كانت المعاجم قد حددت المعنى الأول المباشر تحديدًا لغويًا بعمل على البنية السطحيَّة في المفهوم فإنَّ الدراسات المعرفيَّة من فلسفيَّة وفكريَّة وأدبيَّة تنظر إلى المعنى من زاوية أوسع وبرؤية توظيفية أدق وأشمل »[11] إذ« للمعاني جانبان أحدهما ذاتي والآخر موضوعي، أما الجانب الذاتي فهو مجموع الأحاسيس الشخصيَّة، والصور الذهنيَّة والمشاعر الوجدانيَّة. أما الجانب الموضوعي

فهو ما تدلّ عليه الألفاظ من المعاني التي ثبَّتها الوضع والاصطلاح، وأقرَّها الاستعمال حتى صارت مضامينها واحدة »[12].

وعلى الرغم من ذلك، فقد ظلَّ المعنى في الدراسات اللغوية العربية الحديثة بمفهوم الصورة الذهنيَّة، إذ عرِّف بأنَّه:« الصورة الذهنيَّة التي يقابلها اللفظ أو الرمز أو الإشارة، ومنه دلالة اللفظ على المعنى الحقيقي والمجازي، ودلالة القول على فكر المتكلم، ودلالة اللافتات الموضوعة في الطريق على اتجاه السير، ودلالة السكوت على الإقرار، ودلالة البكاء على الحزن»[13].

وعرَّفه آخر بمفهوم التصوّر الحاصل في الذهن، وهو لا يبعد كثيرًا عن مفهوم الصورة الذهنيَّة، قال:« والمعنى هو التصوّر الحاصل في الذهن، أو الفكرة التي يشكلها الوعي عن مظاهر الأشياء في العالم أو الواقع الخارجي المحيط به »[14].

أما (المعنى) عند الغربيين، فقد عرَّفه **دي سوسير** بأنَّه « ارتباط متبادل أو علاقة متبادلة بين الكلمة (أو الاسم) وهو الصورة السمعية وبين الفكرة »[15]. ولهذا فإنَّ أي تغيير يحدث في الكلمة لا بدَّ من أن يؤدي إلى تغيير مصاحب في الفكرة (المعنى)، وتبعاً لذلك يكون تغيير الفكرة مؤثرًا في الكلمة[16].

وعرَّفه **أولمان** بـ « العلاقة المتبادلة بين اللفظ والمدلول، تلك العلاقة التي تمكن أحدهما من استدعاء الآخر»[17]، وهذا الاستدعاء هو عملية ذهنية ما يدل على أنَّ العلاقة بين الكلمة ومعناها علاقة ذهنيَّة تصوريَّة . وهذا ما تنبَّه عليه العلماء العرب من قبل، نحو: المناطقة والأصوليين وعلماء العربية[18].

« ويظهر تأثر **أولمان** بآراء النفسيين تأثرًا واضحًا في ذلك التعريف الذي أورده للمعنى، ومن استعماله لمصطلحات معيَّنة مثل (الفكرة) و(الصورة الذهنيَّة) و(الربط الذهني) .... وهذه مصطلحات هي أولى بعلم النفس منها بعلم اللغة »[19].

وهو– أي المعنى – **عند بلومفيد** « عبارة عن الموقف الذي يتم فيه الحدث اللغوي المعيَّن والاستجابة أو ردّ الفعل الذي يستدعيه هذا الحدث في نفس السامع »[20]أو« هو مجموعة الحوادث السابقة للكلام والتالية له »[21]والذي يتضح من تعريف بلومفيد هو الجانب النفسي السلوكي الذي يراعي« الحافز والاستجابة أو الفعل وردّ الفعل »[22] فضلاً عن جعله المعنى عبارة عن علاقات سياقية، قوامها المواقف التي تتم فيها الأحداث اللغوية بحسب اختلاف تلك المواقف[23]

أما الأستاذ **فيرث فيرى** «أنَّ المعنى اللغوي هو مجموعة من الخصائص والميزات اللغويَّة للحدث المدروس. وهذه الخصائص لا تدرس دفعة واحدة بل لا بدَّ من تناولها على مراحل أو مستويات مختلفة »[24].

ويحدث كل ذلك من خلال« إيحاء الرموز اللفظيَّة وعلاقاتها النحويَّة إلى أشياء موجودة في العالم الخارجي أو إلى أفكار ووجدانات مشتركة بين الناس جميعًا »[25]. ثمَّ تنتقل فكرة المعنى إلى حدود النص، فيكون « المعنى هو ما يمثل النص وهو ما يمثله المؤلف حين يستخدم مجموعة معينة من العلامات، وما تمثله هذه العلامات»[26] إذ « يصبح المعنى النصي- مقتربًا نقديا جديدًا يستجيب لمقاصد المؤلف في رفد النص بشبكة من الإشارات والإيحاءات والعلامات، يجعل من فكرة المعنى صورة مهيَّأة لتجاوز الحدود الأوليَّة الدنيا لاشتغال الفكرة، ويدفعها إلى التوغل في مستوى عميق يخضع للالتباس والتوتر واختلاف درجات الفهم . ومن هنا تبدأ فكرة المعنى بمحاولة الاتصال بالقراءة بوصفها آلة تفكيك المعنى، اعتمادًا على الطبقة البنائية والنحوية والدلالية التي اكتسبها النص بفعل نسيج النص »[27].

والعامل الإيحائي – في الكلمات هو الذي يجعل الكلمة تتحرك من مجالها الدلالي إلى مجال أرحب هو مجال السياق، لأنَّ « فكرة السياق معناها أن الكلمة متجددة باستمرار»[28]، فالكلمة لا تحمل معها فقط معناها المعجمي بل هالة من المترادفات والمتجانسات، والكلمات

لا تكتفي بأن يكون لها معنى فقط، بل كثير من معاني كلمات تتصل منها بالصوت أو بالمعنى، أو بالاشتقاق أو حتى بالكلمات التي تعارضها[29].

وربَّما تعلَّق الأمر في تنوّع المعنى بلحاظ المتكلم والمخاطب، فتنقسم أطرافه على ما يأتي[30]:

1. معنى الجملة : وهو المعنى الظاهري لها، بما هي من دون تأويل، أو أي تدخل من جهة المتكلم أو السامع أو المقام، وتنعت بالدلالة السطحية أو الظاهرة المباشرة .

2. معنى المتكلم: وهو المعنى الذي يقصده قائل الجملة، وهذا المعنى قد يتناقض مع معنى الجملة الأساسي، فالجملة تعني شيئًا، والمتكلم يقصد شيئًا آخر، قد يكون مختلفًا عن المعنى الظاهر. ويأتي قصد المتكلم بخلاف مقتضى الظاهر. وهذا الأمر تتدخل فيه أمور كثيرة منها علاقة المتكلم بالسامع، والمقام الذي جرى فيه الكلام .

3. معنى المخاطب: وهذا المعنى قد يكون خارج ما يقصده المتكلم أو بخلافه تمامًا، وهو يتوقف على ما يستوحيه السامع من معانٍ خلال الحدث الكلامي، فقد يقصد المتكلم المدح، فيفهمه المخاطب أنَّه ذم، وقد يقصد المزاح، ويفهم المخاطب الجدّ، وقد يكون الأمر بخلاف ذلك . ولذلك ينشأ ما يعرف بسوء الفهم، أو سوء الاتصال بين المتكلم والمخاطب .

إن القيمة الفنية للألفاظ تظهر من خلال السياق و(الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة وان الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها من ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو مما أشبه ذلك مما يتعلق له بصريح اللفظ)[31].

فـ (الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف)[32] ولا تكشف عن جمالها أو قبحها أو رقتها إلا بعد أن توضع في سياق العمل الفني الذي يضفي عليها الصفات التي تكسبها جماليتها، فقد يعتقد بأن ألفاظا معينة قد تكون شاعرية ولكنها تؤدي بالعمل الفني إلى الإخفاق إذا لم تستعمل بالشكل الصحيح[33].

وثمة علاقة وثيقة بين الألفاظ والمعاني إذ أن المعاني قائمة في الصدور مقصورة في الأذهان وبقدر وضوح الدلالة يكون إظهار المعنى[34]

أما ابن طباطبا فيقول في ذلك (وللمعاني ألفاظ تشاكلها فتحسن فيها وتقبح في غيرها فهي كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد حسناً في بعض المعارض دون بعض وكم من معرض حسن قد أبتذل على معنى قبيح ألبسه)[35].

وعملية فهم ظلال المعنى وملاحظتها في الكلام أو النصوص تتطلب التغلغل في علاقات الوحدات اللغوية مع بعضها، واستشفاف ما بينها من معانٍ أصلية ومتغيرة للتمكن من الوصول إلى الانعكاسات النفسية والعاطفية لمنتج الكلام أو النص.

قال **وليم رآي** :(تنطوي الآلية الحقيقية للقراءة على الكشف في (داخل) كل وحدة من وحدات النص عن خيوط المعنى التي تدعمها الشفرات المختلفة- ويفهم من الشفرة في هذا السياق أنها ليست بنية محددة من كشف اللغز بل هي (منظور من أمثلة الاستشهاد، أو سراب من البنى) وتقع في صلب هذه العملية ظلال المعنى، ويشتق المرء ظل المعنى عن طريق إيجاد علاقة متبادلة بين معنى مدلول جديد وشكل ناتج من تفريغ دلالة سابقة. ولما كان ظل المعنى متأصلاً في الدلالة فهو يؤلف إحدى الطبقات في ورقة المعاني الفطرية الخاصة بذلك المعنى، وهو يحدد نقطة انطلاق الشفرة (التي لا يعاد توليفها أبداً)، نطق الصوت الذي قد نسج في النص، ومع ذلك فإن ظل المعنى ليس مجرد وظيفة تعاقب النص الذي ينطوي على المعنى الأولي. فحين نقرأ نكشف عن ظلال المعنى الذي تغدو من خلال إستمراريته وتكراره ضمن القراءة دلالات يتطلب منا أن نشتق منها أمثلة أخرى لظلال المعاني).[36]

ولذلك لا تتحدد معاني الكلمات وقيمها من خلال المعجم اللغوي المتجرد عن المعاني النفسية والعاطفية، (فمعاني الكلمات لا تتحدد فقط بالتعريف التجريدي الذي تحددها به القواميس إذ يحيط المعنى المنطقي لكل كلمة جو عاطفي، ينفذ فيها ويكسبها ألواناً مؤقتة على

حسب استعمالاتها، هي التي تكوّن قيمتها التعبيرية).[37] وللمعنى العاطفي، أو الجو العاطفي قوةُ لإثارة المشاعر الخاصة المولّدة لهذه الألوان، أو الظلال المعنوية تدعى قوة (الاستدعاء).

قال أولمان: (المعنى العاطفي من المصادر التي تثير في النفس حساساتٍ خاصة بما تمدنا به من ألوان أو ظلال معنوية إضافية، ويتمثل هذا المصدر في قوة الكلمات على (الاستدعاء). فالملاحظ أنّ وقوع الكلمات في نماذج معينة من السياقات يكسبها جواً خاصاً ويحيطها بملابسات تعين في الحال على (استحضار) البيئة التي تنتمي إليها هذه الكلمات).[38]

وكما **قال فندريس**: (كل كلمة أيّاً كانت توقظ دائما في الذهن صورةً ما بهيجة، أو حزينة رضية، أو كريهة، كبيرة أو صغيرة، معجبة، أو مضحكة تفعل ذلك مستقلة عن المعنى الذي تعبر عنه وقبل أن يعرف هذا المعنى في غالب الأحيان ...)[39].

ولهذه الاختلافات التي تصورها هذه الدلالة في معانيها أم في الأحاسيس التي تثيرها نجد اختلافا وتفاوتاً كبيراً بين الأدباء والبلاغيين في هذه الدلالة لكثره تعاملهم معها.

فالنظام اللغوي يمكنهُ التعبير عن المعاني الموضوعية ويتمكن أيضا من ترجمة المعاني النفسية الفردية التي هي نتاج لصاحبها تكمن وراءها دلالات لا مباشرة، يحتاج لمعرفتها إلى تأمل وتفهم، إذن هي نواح انفعالية ضمنية ترمي إلى غرض إيصالي انفعالي بين المتكلم، والمتلقي، الذي يطغى عليه المعنى الذاتي للمتكلم تبعا لصفاتهِ التعبيرية المختلفة وذلك كله من أهداف اللغة ويعرف بـ(الوظيفة العاطفية) ويقصد بها (إثارة المشاعر والتأثير في السلوك الإنساني).[40]

و(المعنى النفسي أو الضمني) الفردي، يُعدّ معنى مقيداً بالنسبة إلى متحدث واحد فقط لا يتميز بالعمومية ولا التداول بين الأفراد جميعا، ويظهر ذلك جليا في النتاجات الشخصية للكتاب والشعراء حين تنعكس المعاني النفسية الذاتية بصورة واضحة قوية تجاه الألفاظ

والمفاهيم المتباينة ويحدث ذلك بقصد متعمد منهم على نحو يرتبط بالتجربة والموقف الإبداعي الخاص مما يحدث التغاير في مساحات الدلالة في الألفاظ[41]

ولما كانت الحالة النفسية العاطفية بطبيعتها متغيرة وغير ثابتة، تغير كذلك ما يخرج منها وما تبثه كما في بعض الشعارات والنداءات السياسية تبعا لتغير الأهواء العاطفية تجاهها وبذلك قد تزداد قوة معانيها أو تفقدها بسبب تلك التغيرات كما فسّر ذلك أولمان: (إنّ الظروف الأصلية التي انبثقت منها هذه الشعارات والندوات قد فقدت فاعليتها وزال تأثيرها، أو أنه قد حدث تلطيف في درجة الانفعال والحماس المرتبطين بهذه النداءات والشعارات)[42].

ونتيجة لتلك التغيرات في رد الفعل الناجم عن الحالة النفسية العاطفية برزت أكثر تلك المواقف في حالات فردية (هامشية) تجاه الألفاظ في اللغة. ومن تلك العلاقة الواضحة بين (المعنى النفسي) وألفاظ اللغة ودلالاتها والدراسات التي شرحت نوع ذلك الارتباط أصبحت تعرف بـ (علم الدلالة النفسي)[43] Psycho-Semantics وهو دلالة اللفظ عند الفرد.

فالسياق له أثر كبير في تحديد معنى الكلمة، والقرائن المسوقة داخل السياق، ولا تتحدد قيمة أي عنصر لغوي نهائياً وكلياً إلا منْ خلال سياقه وما يحيط به منْ ألفاظ تحدد معناه، ولتغيير الحركات والمورفيمات تأثيرٌ في التغيير الدلالي، وأي تغيّر دلالي هو تغّير معنوي والقيمة الدلالية للكلمة تكمن في معناها .

ـ إن اللفظ صيغةٌ خارجية للكلمة وأما المدلول فهو الفكرة التي يستدعيها اللفظ، علماً بأن هناك علاقةً وثيقةً بينهما؛ وعلى هذا الأساس فالمعنى (علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول: علاقة تمكن كل واحد منهما من استدعاء الآخر)

ـ تعد دراسة المعنى من الدراسات المهمة والمعقدة في الوقت نفسه لارتباطه بعلوم شتى، لان دراسته تعتمد على عناصر غير مادية تتعلق بالمفاهيم والصورة العقلية للأشياء.

ونتيجة لأهميته فقد قدمت نظريات عديدة في دراسته منها: نظرية السياق، والنظريتان الإشارية والتصورية، والنظرية السلوكية، ونظرية الحقول الدلالية، والنظرية التحليلية، وغيرها.

إن الكلمات ترتبط بالفكر الإنساني ارتباطاً وثيقاً ؛ لأنها رموز لمعان محددة في البيئة اللغوية، إذ إن لكل كلمة دلالة معجمية واحدة أو أكثر، ولكن هذه الدلالة لا تتحقق إلا في السياق اللغوي الذي ترد فيه. إذ يُراد بالمعجمي:المعنى الذي نَستقيه من المعجمات المختلفة، ويُمثّل المعنى الوَضعي الأصلي للفظ، الذي سُمّيَ المعنى المركزي[44]أوالأساس[45]أمّا المعنى السياقي فهو الذي يُستقى من النَظم اللفظي والمعنوي للكلمة وموقعها من ذلك النَظم [46]، أومن السياق العام للكلام

والفارق الأساسي بين المعنيين المعجمي والسياقي هو تعدّد الأول وتحدّد الثاني[47]، إذ لا يُعينُ الأوّل على تحديد البُعد الدَلالي للكلمة ؛ لأنّها تحتمل أكثرَ من معنىً، وهو في الغالب معنىً منفردٌ منفصلٌ يقوم على التَجريد المَنطقي[48]، أمّا الثاني فهو معنىً محدّدٌ تحكُمُه عَلاقة الكلمة بكلِّ ما يُحيط بها من عَناصر لغويّة وغير لغويّة، خاصّة بالمُتكلّم والمُخاطَب، ثقافية واجتماعية . ولذا فهولا يَقبل التَعدُّد، ففي كلّ سياق تكتسب الكلمة معنىً مُحدّداً مُؤقتاً يُمثّل القيمة الحضوريّة لها، التي تختلف من سياقٍ إلى آخر[49]لذا فإنّ المعاني السياقيّة للكلمة الواحدة تتعدّدُ بتعدّدِ السياقات التي تَرِدُ فيها .

فالسياق اللفظي للكلمة ويشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة، والنص الذي توجد فيه. فهو السياق الذي توجد فيه اللفظة في الجملة، فتكتسب من السياق توجيهاً دلالياً، وقد تاتي في سياق آخر فتكتسب دلالة اخرى. فهي الروابط اللغوية المحيطة باللفظة في عبارة أو تركيب، فيشمل: تلك العبارة، والنص المتضمن لها، والكتاب الوارد فيه النص، وكل ما يصاحب اللفظة من الفاظ تساعد على توضيح المعنى، تقدمت

عليها او تاخرت عنها، مما يؤثر فوق الدلالة المعجمية (أي: اصل الاستعمال اللغوي) مضيفاً اليها الدلالة الثانوية التي تتغير بتغير العصر او الثقافة او طبيعة الانسان او تصوره [50] .

اما القرائن المكونه لهذا السياق فان (افضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملة) [51]، اوكما يقول بعض اللسانيين: (ان الكلمات التي تسبق بلفظة مّا وتليها تحدد طريقة تفسيرها ومن اليسيرتوسيع نطاق هذا المعنى، ليشمل نصوص الكتاب بأكمله) [52] وينصح ايضاً: (لا تقتبس شيئاً من، او تعلق على أي شئ من كتاب ما لم تكن قد قرأته من الغلاف الى الغلاف) [53] . وقد صرح ابن حزم من قبل بان: (الحديث والقرآن كله لفظة واحدة فلا يحكم بآية دون اخرى، ولا بحديث دون آخر، بل يضم كل ذلك بعضه الى بعض، اذ ليس بعض ذلك أولى بالاتباع من بعض، ومن فعل غير هذا فقد تحكم بلا دليل) [54] .

وفي ذلك يقول بعض اللسانيين المحدثين: (ان السياق جزء من التخطيط الكلي ..... وليس هناك انفصال بين (ماذا نقول)؟ و(كيف نقول)؟، إذ أن اللغة انما تكون لغة عن طريق الاستعمال في سياق الحال. وكل ما فيها مرتبط بالسياق) [55] . الامر الذي دعت اليه (التداولية)[56]، اذ انها تستثمر كل طاقات اللغة، فيعمل المستوى الصوتي على تحقيق الوحدات الصوتية؛ لانها ستخضع لعمل المستوى النحوي، اذ ينظر الى اشكالها، ثم ينظر كيفية تنظيم العلاقات الرابطة بينها؛ تمهيداً للمستوى الدلالي، ليتعامل مع وحدات متحققة مستندة الى علاقات نحوية، فينظر في تلك العلاقات، لينتهي الى دلالة معينة موصولة بالمتكلم وبما يحيطه من ظروف؛ (لان معاني الكلمات قد تتغيراثناء تغيرالوضعية الاجتماعية والنفسية للفرد المتكلم)[57].

الهوامش

1ـ ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين: د . طاهر سليمان حمودة، ص1، الدار الجامعية، مصر، 1983م .

2ـ ينظر: التصور اللغوي عند الأصوليين: د السيد أحمد عبد الغفار، ص1، ط1، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1401هـ = 1981م .

3ـ هو عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، إمام في النحو والبلاغة (ت471هـ) : (بغية الوعاة 2 / 106، شذرات الذهب 3 / 340) .

4ـ ينظر: دراسات في علم اللغة : د . كمال بشر، القسم الثاني ص153، ط2، دار المعارف القاهرة، 1971م، وينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين 2 .

5ـ ـ اللغة لجوزيف فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد قصاص، مكتبة الأنجلوالمصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، دط، 1950 م:ص 246-247.

6ـ تاج العروس، للزبيدي (محمد مرتضى)(1205هـ) تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، لا ط، لا ت (عنى) 18 / 386 .

7ـ ينظر : دراسة المعنى عند الأصوليين، تأليف: د. طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، 1967م ص: 64 – 65 .

8ـ التعريفات، الجرجاني (علي بن محمد الشريف) (816هـ) البابي الحلبي وأولاده، مصر 1357هـ ـ 1938م. ص : 218 .

9ـ ينظر : نظرية المعنى في النقد العربي القديم : 38 .

10ـ ينظر : علم الدلالة، أحمد مختار عمر : 53، ومنهج البحث اللغوي : 173 .

11ـ إشكالية المعنى في الشعر العربي الحديث : 19 .

12ـ المعجم الفلسفي : 398 – 399 .

13ـ الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني : 15، وينظر : اللغة والدلالة : 52 .

14ـ فلسفة المعنى في النقد العربي المعاصر : 1 .

15ـ علم اللغة، محمود السعران : 33 .

16ـ ينظر : النحو العربي : 31، وعلم الدلالة، د. فريد عوض : 18 .

17ـ دور الكلمة في اللغة : 79، وينظر : دراسات في علم اللغة : ق2 / 160 – 161 .

18ـ ينظر : منهج البحث اللغوي : 174-175 .

19ـ دور الكلمة في اللغة، ، استيفن أولمان، ترجمة وتعليق : كمال بشر، مكتبة الشباب القاهرة 1988م.ص: 80 .

20ـ منهج البحث اللغوي : 173 .

21ـ دراسات في علم اللغة – ق2 : 168 .

22ـ منهج البحث اللغوي : 173 .

23ـ المصدر نفسه .

24ـ دور الكلمة في اللغة (الهامش) : 81 .

25ـ معجم مصطلحات الأدب : 308 .

26ـ المصطلحات الأدبية الحديثة : 52 .

27ـ إشكالية المعنى : 21 .

28ـ نظرية المعنى : 161، وينظر : فاسفة المعنى : 82 .

29ـ ينظر: نظرية الأدب، رينيه ويليك : 181 .

30ـ ينظر: ـ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط1، الكويت 1402هـ – 1982.، د. محمد علي الخولي، ص 14 – 16 .

31ـ دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د. محمد رضوان الداية ود. فايز الداية: .92

32ـ أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق هـ. ريتر:.3

33 ـ ينظر علم الجمال والنقد الحديث، عبد العزيز حمودة: 5- .6

34 ـ ينظر البيان والتبين:.– أبو عثمان الجاحظ – تحقيق – حسن السندوبي – المطبعة التجارية الكبرى بشارع عابدين حارة فايدة – مصر – ط/ 1 – 1926.ج 1/ 75

35ـ عيار الشعر:.8

36 ـ المعنى الأدبي: .198

37 ـ ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث:92.

38 ـ دور الكلمة في اللغة:105 وعلم الدلالة، لاينز :.76

39 ـ اللغة لجوزيف فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد قصاص، مكتبة الأنجلوالمصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، دط، 1950 م. ص: 43.

40 ـ دور الكلمة في اللغة :44 وينظر: التطور اللغوي التاريخي :24.

41ـ ينظر: علم النفس اللغوي : د. نوال عطية: 77 واللغة وعلم النفس، د. موفق الحمداني:175. وقد عبَّر عنه أيضا بالمعنى الذاتي: 200 ونظرية الأدب: 253. وعلم الدلالة العربي:108 وعلم الإشارة: عبّر عنه بـ(الشعور):37.

42 ـ دور الكلمة في اللغة:96، وعلم الإشارة : 37 ويبين مع ذلك عجز الإشارة المنطقية عن إعطاء معنى خاص

43ـ ينظر: ظلال المعنى: 79 وعلم النفس اللغوي:46، 73 وعلم الدلالة، عمر: 40- 41. ودور الكلمة في اللغة 182:

44ـ دلالة الألفاظ :. دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، ط 2، 1963م.ص: 213 .

45ـ المصدر نفسه 106، وعلم الدلالة (مختار)36، واللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، المترجم: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيلعزيز، دار النشر: دار الشؤون الثقافية العامة، مكان النشر: بغداد – العراق، سنة النشـر: 1987 ص35

46-ـ دور الكلمة في اللغة 62 .

47ـ اللغة العربية معناها ومبناها 325 .

48ـ منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث 185 .

49ـ ينظر اللغة 231 ـ 232، ودلالة الألفاظ وتطورها 22، ومنهج البحث اللغوي 94، 185

50ـ ينظر: دور الكلمة في اللغة 62، وعلم الدلالة لمختار عمر 37-38، منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب (العين): د. أحمد نصيف الجنابي 162، بحث في كتاب المعجمية العربية، المجمع العلمي العراقي، 1412هـ=1992م. 26 ـ 162، بحث في كتاب المعجمية العربية، المجمع العلمي العراقي، 1412هـ=1992م.

51ـ تفسير المنار 1/ .22

52ـ ـ مجلة العرب والفكر العالمي ع 13-14، ربيع 1991، ص17، مقال: فلسفة البلاغة: لـ(رتشاردز)، ترجمة: ناصر حلاوي وسعيد الفاسي ع 13-14، ربيع 1991، ص17، مقال: فلسفة البلاغة: لـ(رتشاردز)، ترجمة: ناصر حلاوي وسعيد الفاسي .

53ـ م . س، وينظر: الخطاب الشرعي 147 .

54ـ احكام ابن حزم 3/ .118

55ـ عن مجلة عالم الفكر ص84 ع 3/ 1989م، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة: يحيى احمد، وينظر: التصور اللغوي .113

56ـ هو منهج في دراسة اللغة ويعني ببساطة : أن تكون اللغة مستعملة ومتداولة على نطاق أوسع: (معجم علم اللغـة النظري : مادة : (circulation) .

57ـ منطق اللغة (نظرية عامة في التحليل اللغوي): ياسين خليل، 1962م، ص16، 1962م، وينظر: م ن: ص2 - 4، 33 - 35 .